سيميائية الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية
رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجا

أ.عبد الحكيم سحالية
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

ملخص المداخلة:

النص الروائي الجزائري نص خالد فهو النص الذي يقرأ في كل زمان ومكان ، هو النص الذي ينفتح داله على مدلوله ، وتتسع مساحتهما لخلق بؤرة توتر تصدم أفق انتظار الملتقي، وتحمل كثافة تعبيرية، وحمولة دلالية، فتجعل من القارئ يستمتع، وتحدث داخله لذة وتجعله يتتبعه في كل حين بلهفة وحنين طارحا أسئلة قد لا تجد إجابات شافية تطفئ ظمأه الأدبي، إنه كيان لغوي ودلالي تتفاعل فيه المعاني والدلالات من خلال بناه المنسجمة والمتسقة ، تتعامد فيه كل الجوانب اللغوية، والفنية والثقافية والاجتماعية والسياسية والأيديولوجية لتكوينه ، من هذا المنطلق تحاول المداخلة قراءة رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة قراءة سيميائية ، فنغوص في عوالمها لاستخراج كل التيمات الدالة على السياسة في خفاءها وتجليها، كسيمياء المضمون الروائي ، وسيمياء العنوان،وسيمياء المكان والزمان، وسيمياء الحدث،وسيمياء الشخوص، وسيمياء الأسماء، ، لنستخلص أن المتلقي حين مباشرته للنص الروائي الجزائري يدخل طرفا معاضدا ، ويشارك في إنتاج الدلالات من خلال فك الرموز ، والشفرات، بما يمتلكه من أدوات و آليات فيفتح دروب التأويل و الفهم.

1- قراءة سيميائية في مضمون رواية "غدا يوم جديد":

تتضمن الرواية أفكارا ومواقف ورؤى سياسية، تروي قصة عجوز تلتقي بكاتب، فتطلب منه كتابة قصتها بكلماته وأسلوبه "أكتب قصتي بما تعرف من كلمات إيماءات جميلة..."[1]

تبدأ الأحداث من محطة القطار حين كانت مسعودة وزوجها قدور، الذي ما تزوجته إلا ليأخذها إلى مدينة الجزائر، وفي خلال فترة انتظارهما إذ بشاب وسيم يروح ويغدو أمامهما بدون توقف، فينفذ صبر قدور ليثور ويهيج فيضربه، لتتصاعد أصواتهم، حتى يأتي دركيان فرنسيان كانا يشاهدان ما حصل، فيلقيان القبض عليهما، ويضيع حلم"مسعودة" في الذهاب إلى المدينة "حلم مسعودة يتحول إلى دخان تبغ في فم الدركيين"[2]. وظلت الفتاة وحيدة لا تعرف أين تولي وجهها وسط رصيف المحطة المخيف، عندئذ يأتي الحاج أحمد وهو شيخ ورع يأخذها إلى بيته حتى يفصل في قضية زوجها، فتتعرف في ذلك البيت على الحبيب "ابن الشيخ أحمد" الذي أحبته، بعد ذلك يأتي "عزوز" زوج أمها ويرجعها إلى الّدشرة لأن قدور قد سجن وأخذ إلى المحجر الذي لاقى فيه أشد أنواع العذاب لكنه بقي صامدا، ليخرج من سجنه ويصطحب زوجته "مسعودة" معه إلى مدينة الحلم، فتبهر بها وبما فيها من ملذات ومغريات وتكتشف إن في المدينة يوجد إلى جانب الحضارة والتطور الرذيلة.

إن الرواية خطاب أيديولوجي مرجعه أحداث "أكتوبر1988" المأساوية التي خلفت الكثير من القتلى، والذين سقطوا بأيدي جزائرية ومن أخوة لا من أجانب فمسعودة تقول "أكتوبر أنطقني، أكوام الزجاج التي ملأت الانهج، أدخنة الغازات والسيارات والبيانات المحترقة، أزيز الرشاشات والدبابات ذكرني بـ: 11 ديسمبر وأيام أخرى، لكن دماء أكتوبر سالت في الشارع الذي بنته الرذيلة النسيان"[3] فهذه الرواية بمثابة الهروب من الحاضر إلى الماضي، للبحث عن حلول شافية تستأصل الداء، وتشفي المجتمع من كل الأوبئة، لأن رجوع مسعودة إلى الماضي والذي ما هو إلا ماضي الجزائر الأليم والحالم، ففرنسة ارتكبت في حق الجزائر أبشع الجرائم، لكن الجزائر استطاعت النهوض وتجاوز المحنة بالآمال، ولقد صور "ابن هدوقة" هذا الحدث بانتقال مسعودة من القرية إلى المدينة، فالجزائر انتقلت من مرحلة الاستعمار والاغتصاب إلى مرحلة التحرير والاستقلال، لتعود البلاد مرة أخرى إلى الصراع بين الإخوة الدامي أثناء أحداث أكتوبر 1988 وما بعده، ولقد صور الكاتب في فشل سفر مسعودة، إلى المدينة ودخول قدور إلى السجن ، ولقد تطابقت مسعودة مع الوطن في قولها:"إنني حزينة، لا على شبابي لأنني لم أعرفه، شبابي لم يكن حي، كان للرجال الذين اغتصبوني وضحكوا على كرمي الساذج البريء، إنني حزينة على مكة وحجاجها، على بغداد وسكانها، على الجزائر وشوارعها حزينة من هذا الإسلام الدموي الذي يريد إزالة الحياة من الوجود ليحيا الناس مباشرة في الآخرة كمجرمين."[4]

إن الرواية تتجلى حديثا عن الحاضر ومحاولة للبحث عن حل شاف للازمة الجزائرية بتوظيف الماضي وأحداثه، إن مسعودة هي رمز للجزائر بحاضرها المظلم وماضيها المشرق وأملها الذي تنتظر من خلاله غدا تتوقف فيه مل آلامها. إن حلم مسعودة كان الذهاب إلى المدينة، وحلم الجزائر التي كانت تعيش تحت نير الاستعمار، كان الحرية والحضارة، وما الرجال الذين أحبتهم مسعودة إلا أبطالها الذين حاولوا أن ينصروا ويعزوا كلمة الله والوطن، ولقد ضاع حلم مسعودة حين سجن زوجها، كما ضاع حلم الجزائر حين لم تستطع أن تحقق الأمن كاملا بعد استقلالها، لكنها تمكنت من الوصول إلى المدينة/الحلم لتصدم بما فيها من رذيلة وكذا الجزائر بعد إن اكتملت من الالتحاق بركب الحضارة هاهي تصدم بهذه الأزمة التي ابتدأت بأحداث أكتوبر 1988 وتواصلت لتتجلى في صراع قائم بين حزبين–الجبهة الإسلامية للإنقاذ وجبهة التحرير الوطني سنة 1991، وما ترتب عنها من خسائر بشرية ومادية واغتيالات رهيبة راح ضحاياها الكثير من أبناء الجزائر.إن اضطرابات الجزائر لم تكن صدفة، بل كان كل شيء مدبرا من قبل جهات وجماعات تريد أن تنهب الأموال وتحتل المناصب لتحطم الجزائر/ الألم، وكذلك زواج مسعودة كان مدبرا من قبل زوج أمها عزوز طمعا في مال قدور وأرضه "لكن زواجي بقدور لم يكن صدفة كان سببه الأول طمع عزوز في بستان قدور وفي قطع الأراضي التي تركها لي أبي وسببه الثاني حلم المدينة"[5] ، فأمثال عزوز كثيرون، هؤلاء هم الذين باعوا الجزائر من أجل مصالحهم الشخصية وظنوا أن كل شيء للبيع. لكن أمل مسعودة /الجزائر يبقى قائما من خلال عودتها إلى ماضيها المشرق الذي يمثل المثال والدافع الوحيد للخروج من هذه الأزمة" أود أن

ابتعد عن هذا الحاضر المضبب إلى ذلك الماضي النير الوضاء!"[6] إن حلم المرأة مسعودة/الوطن سيتحقق، الغد السعيد حتما سيأتي، ولكن مع مصالحة حقيقية مع الذات ومع الإخوة ومع الوطن،"تمنيت أن لو استطعت جمع من عرفتهم أو سمعت عنهم، خلال حياتي في دار واحدة، ونتحدث عن كل شيء بدون حجاب ولا تحفظ"[7]

ولقد ختم "ابن هدوقة" روايته بتفاؤل كبير من خلال قدوم القطار، الذي يرمز إلى قطار الحضارة والأمن والسلام في وقته دون أن يتخلف عن موعده، فركبت عندئذ"مسعودة" الوطن هذا القطار متجهة مباشرة إلى الاستقرار والتطور إلى الغد الحالم الآمن. << القطار هذه المرة لم يتخلف ولم يكن أحد بالمحطة سوانا حلت الساعة الثانية بساعة المحطة الجدارية ذات الوجهين. ما أقول لك أيضا ركبنا وانطلق القطار بي إلى الحلم إلى الغد الجديد.[8]>>

إن رواية "غدا يوم جديد" هي رواية الأمل، رواية الحلم، رواية الجزائر الهادئة، إنها رواية الدعوة إلى التصالح بالحوار العاقل والمؤسس.

2-سيميائية العنوان:

إن العنوان هو الدال الأول، وهو أول ما يقع على عيني القارئ، فهو بمثابة البوابة الموصلة إلى عوالم النص و كوامنه، فهو يتمم معناه ويكمله، إنه لا يختلف معه، بل يعكس ما بداخله بأمانة وصدق وإيحاء، فهو ينسجم انسجاما مطلقا مع نصه، إنه" يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه، إذ هو المصدر الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، فهو إن صحت المشابهة بمثابة الرأس للجسد"[9] إن العنوان ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، لأنه ملخص ومفسر ومساعد ودال على المضمون، وهو الذي يفصل ويميز نصا من آخر. وعنوان رواية"غدا يوم جديد" تنطبق عليه كل المواصفات السابقة. فهو دال ومغلق في الآن نفسه، إنه موحي و مرمز يحمل دلالات وإيحاءات لا يمكن الوصول إلى مفاتيحها إلا بعد قراءتنا الرواية قراءة متعمقة ومتأنية، فالعنوان في مضمونه دال على الجديد الآتي، ولكن هل هذا الجديد مأساوي؟ هل هو مفرح؟ لا يمكن معرفة هذا إلا بعد الفراغ من القراءة، حيث نكتشف أن المؤلف يتنبأ بيوم جديد أي المستقبل القريب الذي سيملؤه الأمن والاستقرار ونتأكد من الآتي المفرح من خلال النهاية المتفائلة التي ختم بها الكاتب روايته، حيث أن القطار لم يتأخر وهي دلالة على أن الأمور ستعود إلى نصابها قريبا.

إن المؤلف قدّم لفظة "غدا" في العنوان على باقي الكلمات وكأنه يستعمل تقنية جديدة للهروب من الحاضر المأساوي، فهو لا يحبذ العيش فيه، إنه ينادي الغد الجديد السعيد ويناشده السرعة في القدوم. يمكن لنا أن نلاحظ في العنوان أن كل لفظة تحيل على معنى اللفظة الثانية، فلفظة "جديد" تؤدي صفة ودلالة ذلك اليوم الذي سيأتي، ولكن متى سيأتي هذا الموسوم بالجدة؟

الإجابة كانت في لفظة "غدا" الدالة على المستقبل القريب، إن العنوان منسجم ومختصر، يثير القارئ يشد انتباهه ويجعله يتساءل عن كنه هذه الرواية فيدفعه إلى قراءتها حتى يكتشف أغوارها، ويعرف أن

الغد ما هو إلا هروب من حاضر متأزم ومشحون بالمعاناة إلى غد جديد حافل بالأمن والسعادة، فالغد هو الخلاص والنجاة من الواقع المرير.

3- سيميائية المكان:

إن للمكان أهمية بالغة في البناء الروائي لأنه يتحول من دلالته العادية إلى دلالة تجعلنا نحس به بالفعل، فيكشف وجوده ليصبح ذا دلالات نفسية ودلالات حسية مرئية، فالرواية تحتوي على مساحة مكانية تجري فيها الأحداث، حيث تفصل أمام القارئ الشخوص عن بعضها، وتفصل القارئ عن الرواية، فهي إذن تنظم وترتب النص الروائي، ويعرفه باشلار:"إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية، في مجال الصور لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية، إن صور البيت تسير في اتجاهين:"إنها في داخلنا بنفس القدر الذي تكون هي في داخلها"[10] فالمكان إذن ليس بريئا بل له دلالاته الخاصة لدى الكاتب و القارئ وبين الشخوص.

أ/ **القريـــة:** تعد من خلال الرواية تراثا ينبغي الاعتزاز به ففيه عاداتنا الجزائرية تحفظ، إنه يسلط الضوء على طريقة عيش الجزائري الحقيقية، والتي فقدت في هذا الزمن المزيف، فالقرية هي الأمن والمأوى فعلى الرغم من الشقاء والتعب والحرمان الذي يلاقيه سكانها إلا أنهم متحابون، لا يقتتلون من أجل سلة أو كرسي، بينهم سلطة واحدة ورابطة توحدهم هي رابطة الدم ورابطة الجوار، فنراهم يتعايشون في سلم وأمان، وقد تحيلنا القرية أيضا على ذلك المكان وتلك الحياة البسيطة والساذجة، التي كان يحياها آباؤنا، فهي دلالة على أصلنا وعرقنا، الذي يجب أن نفتخر به ونحافظ عليه، لا أن نقطعه، فنحن شعب له انتماء وتاريخ، وهوية وحضارة، وجذور راسخة في عمق التاريخ، وهي أيضا دلالة على الارتباط الوثيق بذلك الماضي المجيد الذي صنعه الأجداد الأبطال في قراهم و مدا شرهم ومدنهم...

ب/محطة القطار: إنها النقطة الأولى لانطلاق الأحداث الروائية، فالقطار هو الرابط بين القرية"الماضي" والمدينة "الحلم والحضارة"، ففي محطة القطار دار شجار بين قدور ورجل كان بالمحطة، مما تسبب في منع مسعودة الذهاب إلى حلمها "المدينة" ، وهذه إحالة على الاستعمار الذي حال دون أن تركب الجزائر قطار الحضارة والمدينة، لكن الشعب الجزائري قاوم حتى نال حريته، ليجد نفسه في متاهات و مطبات أخرى قد تكون أعقد من متاهات الاستعمار، وهذا ما أوحاه وصول مسعودة إلى المدينة "الحلم"، لكنها لم ترض بما وجدت فيها، فمحطة القطار هي نقطة الانطلاق الأولى إلى التقدم والتطور والحضارة، والقطار هو الوسيلة والعامل المساعد على الانتقال من الحالة المأسوية إلى حالة الاستقرار والأمن "أعجبني أنك بدأت بالمحطة، شأن القطار في حياتي شأنه في... النهضة الصناعية في أوروبا، هو ذاك من المحطة ابتدأت حياتي تدخل إلى عالم كنت قبل في شبه غيبوبة، أو ميتة موت أهل الكهف، القطار كالقدر"[11]

ج/ المدينة: إن المدينة في الرواية، لدى جميع الشخوص هي حلم أو أمل يصيبون إليها قصد الخلاص من حاضرهم، والانتقال إلى غد أفضل، ولعل أول حلم للجزائريين إبان الاستعمار هو نيل الحرية والاستقلال التام، ومحاولة تجسيد المدينة المثالية التي كانت تراود كل واحد في يقظته، وأفكاره وأحلامه، ليتحول الحلم بعد الاستقلال إلى البحث عن العدالة والمساواة و الإخاء، وهاهو اليوم الشعب الجزائري برمته يحلم بالأمن والاستقرار لأن المجتمع يعيش تحت وطأة فتنة قاتلة.

إن المدينة هي الرمز الدال على الحلم، الذي يبحث عنه الشعب الجزائري، لأنها تتحول وتتغير حسب كل فترة وكل ظرف. "أبحث عن النهار لماذا تأخرلماذا تأخر؟ سفري ليس صعودا الزمن الماضي لم يغادر هو سفر في الزمنبلا زمن"[12]

4- سيميائية الزمان:

لقد اهتم العلماء والفلاسفة بمفهوم الزمن ففسره كل واحد حسب منظوره الخاص إذ هو حاضر في مجالات متنوعة منها الفلكية السيكولوجية والعلمية ويمكن أن يبرز بجلال من خلال اللغة التي قسمته، إلى أكثر من ثلاثة أزمنة أبرزها: الماضي الحاضر والمستقبل.

ومع تقدم الدراسات اللسانية على يد دوسوسير وغيره وجدنا للزمن فرضيات أخرى تختلف عن مفهوم الزمن التقليدي لأن "الزمن الأدبي هو غير الزمن التقليدي أو النحوي أو الرياضي، فهو زمن متسلط، شفاف متولج في أشد الأشياء صلابة ومتحكم في أبعد الأمور اغتياظا"[13]

ويقسم ميشال بوتر الزمن الروائي إلى ثلاثة أزمنة وهي زمن الكتابة زمن المغامرة وزمن الكاتب.

أ/سيميائية الزمن الحاضر: هو الزمن الأول للحكي وهو زمن يتسم في الرواية بالظلام والسواد الذي يعيشه الشعب الجزائري حيث ذاق خلاله كل أنواع الاضطراب، "فمسعودة" " ترفض هذا الزمن الحاضر الذي مليء أزمات لأنها تنبذ التشتت وتكره الصراع بين الأخوة وهي خائفة من الغد، وخائفة على الجزائر التي بناها الآباء بالدماء والأنفس، فلا تجد سبيلا إلا هروبها إلى ماضيها وذكرياتها، "أود أن ابتعد عن هذا الحاضر المضبب إلى ذلك الماضي المنير الوضاء"[14] إن المجتمع الجزائري يعيش أزمات سياسية وحاضر يملؤه الدم والدموع، انعكس سلبا على كل المجالات الباقية، وقد يؤدي إلى انهيار الدولة، وبروز حرب أهلية وخيمة العواقب، لذلك نراه في الرواية لا يظهر إلا ليختفي ولا يبرز إلا ليضمحل وراء صورة الماضي المشرق، فهو يبحث عن حل يبحث عن ملاذ للراحة والأمن إنه يوضح حقيقة السلطة والمجتمع.

ب/ سيميائية الزمن الماضي المطلق:

إن هذا الزمن قد ولى ومضى لكن الشخصية "مسعودة" استرجعته محاولة العيش فيه وذلك هروبا من واقعها المأساوي وهو زمن سحيق يعود إلى ما قبل الثورة، حيث تبلور وعي الشعب الجزائري، وخاصة سنة 1930 لمّا عذب الجزائريون باسم حضارة فرنسية، فأنشأت حركة وطنية تحاول أن تدافع عن حقوق المواطنين الضائعة وتستعيد حرية الوطن المفقودة.

إن استرجاع الماضي فيه محاولة لطرح أسئلة جريئة على الحاضر، وكشف النقاب على ما يجري، ومحاولة أيضا للمقارنة بين قتلى الأمس وقتلى اليوم "أستطيع أن أضع رجلي اليمنى على سنة الاحتفالات "بالحضارة" كما سماها أهلها، وأضع رجلي اليسرى على سنوات الثمانينات، فأجد نفسي أمام أحداث أكتوبر"[15]إن الزمن الماضي في الرواية جاء ليوضح الحقيقة التاريخية والذي كان شاهدا عليها والتي رأى خلالها الشعب الجزائري أن يضحي بأغلى ما يملك من أجل الوطن، وها هو الزمن الحاضر الذي سيكون يوما ما ماضيا، شاهدا على خيانة بعض أبناء الوطن، فالزمن الماضي ينقد الحاضر ويحاول تصحيحه وإرجاعه إلى سكته السوية.

ج/سيميائية الزمن القريب:

هذا الزمان لم يمر على مضيه وقت طويل، فالشعب لا زال يعايشه بمرارة، لأنه صدم لما رأى فيه من هول، إنه زمن الوقائع الجزائرية، زمن الدم ويمكن أن نحصره بنهاية الثمانينات إلى يومنا الحالي ويمكن أن نطلق عليه زمن التكشف وتعرية الواقع الجزائري الذي كثرت فيه السرقات والاختلاسات وخيانات الوطن "أتحدث عن أشياء وأريد أخرى إنها مرحلة من هذه المراحل التي تزهدك في أحب الأشياء إليك ..."[16] إن الزمن القريب واقع قاس، واقع أتعبه الداء ولم يجد دواء يستطب به فيشفى من أسقامه، إنه زمن الفجيعة الجزائرية الذي قلبت الموازين وتغيرت القيم مما دفع الكاتب إلى العودة إلى الماضي هروبا وخوفا من حاضره وبحثا عن جذوره كي يتمسك بها. وما يلاحظ أن الكاتب ترك هذا الزمن القريب إلى الحاضر ولم يتكلم عنه مباشرة، بل يبرزه في شكل لمحات تظهر وسرعان ما تختفي وراء الماضي الذي يسيطر على متن الرواية دون أن يقدم المؤلف من خلاله أو بعده حلا مناسبا ومجديا للأزمة الحاضرة التي اندلعت منذ زمن حاضر قريب.<< أكتوبر انطقي وجوان (يونيو) أسكتي! إنني حزينة، بعد حكاية المحجر!....[17]>>.

إن تحليل بن هدوقة للماضي وكشفه للحاضر من خلال مقابلة أرادها أن تكون تساؤلا حول المستقبل، فالرجل يقول بصيغة غير مباشرة إننا إذا لم نتعلم من تجاربنا القاسية فإن حالنا مستقبلا لن تكون أحسن، وهذا منطقي، فهو يدعونا إلى تحقيق أمله في غد جديد ومستقبل مشرق خال من الصراعات والانتكاسات المتكررة، إنه يدعونا إلى فتح نوافذنا على شمس الغد كي تزيل رطوبة الجو الخانق.

5-سيميائية الشخوص:

إن أحياء المدينة والريف وبنيتهما الزمنية التي تمتد بين 1930 واحتفالات الذكرى المئوية وأحداث أكتوبر 1988، ساهمت في تنويع الشخوص، إذ يقسم "فيليب هامون" الشخوص إلى ثلاثة أنواع شخوص مرجعية، وشخوص إشارية، وشخوص استذكارية وستكون دراستنا على نحو هذا التقسيم:

I.الشخوص المرجعية

أ/الشخصية السياسية:

وهي شخصية قامت بأدوار سياسية، ووجودها في النص علامة دالة ومن ذلك "عندما جاء بورقيبة للحكم نزع الحجاب عن النساء، ولم تعد تستعمل الحجاب إلا العاملات المنزليات ... كما نزع شيوخ الزيتونة العمائم و الجباب وأصبحوا عصريين ولو أن الكثير منهم كانت رؤوسهم قديمة!..."[18]. فهذه الفقرة تحيلنا على نظرة مسعودة الى التغير الحاصل في المجتمع التونسي الذي ما هو إلا صورة طبق الأصل عن حاضر المجتمع الجزائري الذي تغيرت فيه القيم الأخلاقية والسياسية والثقافية، وحل محلها قيم جديدة لم تكن في السابق، وذلك بسبب النظام الحاكم وبسبب الانفتاح اللامنطقي عن الحضارة الغربية، و كأنها تعبر عن رفضها أخذ القشور من غيرها وترك اللب، وأما الشخوص الفرنسية فتمثلت في الدركيين إضافة إلى "القايد" وكل الذين يعملون لصالح فرنسة، فيظهرون بأبشع الصور لأنهم عاشوا في الجزائر مفسدين، فقتلوا و شردوا وسرقوا واعتدوا على الأعراض والحرمات، ولقد جاء في الرواية ذكر بعض الشخصيات الحقيقية الواقعية منها الأمير عبد القادر، والأمير خالد، وبومدين، وابن باديس ... وهي شخصيات سياسية استثمرت شخوصا،

للدلالة على الماضي الحقيقي وغثبات الحقائق التي يجب أن تثبت، وحتى يوهم القارئ أن شخوصه حية وفاعلة.

ب/الشخوص الدينية:

جعلها شخوص إسلامية، وأهمها "الإمام عبد الحميد بن باديس، الطيب العقبي، الشيخ البشير الإبراهيمي" ولقد وردت هذه الشخوص من خلال الاستنطاق الذي أجراه الدركيان لقدور، ولقد أبرزت هذه الشخوص الدور الذي قامت به قبل اندلاع ثورة نوفمبر المجيدة، من توعية الشعب، وبث فيهم الروح الإسلامية والوطنية، حيث كانت قضية فرنسة مثار جدل الجمعيات والتنظيمات الجزائرية "هل كل ما قاله العريف يجهله سكان الجزائر؟ تجهله النقابة يجهله أولئك الذين يذهبون كل مساء لنادي الترقي، للاستماع إلى الشيخ العقبي، لا يمكن أن يجهل كل الناس ما يجري في الجزائر يتحدثون كثيرا عن السياسة كم مرة سمع الناس يقولون: إن الوطن أخذ بقوة ولن يعود إلا بالقوة سمع ذلك في نادي الترقي..."[19]

تظهر في الرواية شخصية ابن الشيخ وهو شاب متخرج في جامع الزيتونة وقد قصد المؤلف من ورائه الدفاع عن بعض رجال الطرق الدينية الوطنية، فهم كذلك ساهموا في الثورة التحريرية ولا يمكن أن نبخس حقهم في نشر الوعي من خلال ثقافتهم الإسلامية التي أخذوها من الزاوية مجانا ويظهر أيضا في الرواية "الحبيب" و"رجل المحطة" وهما شابان تخرجا في الزاوية و لقد لعبا دورا هاما في تنمية وعي الشعب أثناء الاستعمار، وكانا ثائرين على نظام الحكومة الفرنسية"لا شك أن هذا الغريب من المناضلين الذين ينتقلون بين القرى لكسب الأنصار وجمع الأموال".[20]

ج/الشخوص الأسطورية:

لا تكاد ترتكز الرواية كثيرا على هذه الشخصية لأنها تنطلق من الواقع والاستعداد للاحتفال بالذكرى المئوية للاستعمار في الجزائر وأحداث أكتوبر 1988 لكن يمكن أن ندلل على الشخصية الأسطورية من خلال:

1- المخفي: وهي شخصية مضخمة تقوم بإنجاز أفعال لا يستطيع أحد القيام بها، فهو يحمل مواصفات النبل والقوة والوفاء للوطن وللأهالي "المخفي من مرابط من أكبر أنصار الأمير خالد كان يشتري المئات من جريدة "الاقدام" ويوزعها بالمجان..."[21] وهو كذلك ذو شجاعة وإقدام"المخفي كان على اتصال بعبد الكريم الخطابي وثورته بالريف المغربي، اتفق معه على إشعال الثورة في الجزائر..."[22] وما المخفي بين مرابط إلا دلالة وعلامة غير مرئية على إرادة الشعب القوي الذي يمكن أن يطلع على الأحداث خارج الجزائر، و أن يقيم علاقات مع الدول المجاورة حتى يتمكن من الاستعداد للثورة والوقوف في وجه المستعمر الغاشم ليحقق الحرية والاستقلال.

2- قدور: لم تصل شخصية قدور إلى أسطورية المخفي، فعلى الرغم من كل ما تحمله من أصناف العذاب القاسي والقاتل ورغم تجاوزه للمحن والآلام السامة بفضل قوة عضلاته إلا أنه يظهر وكأنه شخصية واقعية ويمكن أن تحيلنا دلالة قدور على الشعب الجزائري والقدرة الهائلة التي يتمتع به، وصبره وتجلده أمام الويلات و الأزمات العظام، ولا زال يعاني حتى اليوم جحيم استعمار مضى، وعداوة إخوة داخل نفس الوطن.

II.الشخوص الإشارية:

وتتجلى في شخصيتين، هما شخصية الراوية وشخصية الكاتب.

أ/شخصية الراوية: استخدمت الراوية تقنية الاعتراف التي أثرت في المتلقي حيث يصدق الأحداث المنقولة، وهي أيضا شاهدة على أحداث تاريخ الجزائر المعاصرة، فالراوية امرأة تتماها مع الجزائر من خلال تطابق نفس أحداث تاريخها مع تاريخ الجزائر، فهي إذن تبحث عن الحلم/الحل وكذلك الجزائر تبحث عن الأجوبة الشافية التي تخرجها من أزمتها الدامية<< وأتذكر... قالت لي :"أكتب قصتي بكلماتك، وقصتي أنا من يكتب كلماتها أيتها العجوز- الفتاة؟ أيتها العجوز –الزمن! أيتها المرأة العظيمة التي قهرت الرجال والزمان![23]>>

فهذه الرواية ما هي إلا الجزائر بكل تاريخها وحاضرها بكل أنظمتها وسياساتها، إنها المرأة الوطن والمرأة الزمن.

ب/ شخصية الكاتب: يقوم الكاتب بتدوين سيرة الراوية والأحداث التي تسردها "أكتب قصتي بما تعرف من كلمات وإيحاءات جميلة"[24] ولم يذكر المؤلف اسم ذلك الكاتب و لم يرسم لنا تركيبته المورفولوجية ويمكن أن نستنتج أن هذا الكاتب هو المؤلف نفسه الذي أراد أن يبث بعض وعيه الى القراء ليحرك فيهم بذرة الخير عساهم ينهضوا من سباتهم، فيوقفوا سيل هذه الدماء السائلة على أرض الجزائر.

III.الشخوص الاسترجاعية/الاستذكارية:

رواية "غدا يوم جديد" تقوم في مجملها على استرجاع الماضي، فالرواية تسترجع ذكرياتها إبان الثورة التحريرية وبعدها"أكتوبر أنطقي، أقول كل شيء ثم اذهب إلى مكة اغسل عضامي وأيامي ..."[25] وحتى الكاتب نراه يسترجع ذكرياته الطفولية وسيرة صديقه الحبيب، وقدور كذلك نراه في الرواية قد قام بعملية استذكار أثناء تعذيبه لسير ومواقف شخوص أخرى مثل الطيب العقبي ومحمد بن سعدون.

يأخذ محمد بن سعدون شهابا من الموقد ويحرق به ذراع قدور، يتألم ولكنه لا يستطيع الصراخ! يعود اله وعيه فيجد الدركي الأهلي يحرق ذراعيه بسيجارة[26] إن الاعتراف والاستذكار في الرواية كان محاولة لتطهر من الدنس والذنوب، فكل الشخوص التي استعملت فيها هذه التقنية، أعلنت عن توبتها وأولهم مسعودة التي حاولت الاعتراف ثم التطهر بالذهاب إلى الحج، والآن وقد تأخر الحج إلى سنة مقبلة، أو لست أدري إلى كم سنة، أجدني أشد حاجة إلى التكفير عن ذنوبي ولو بالحديث عنها...[27]

يمكن أن ندرج شخوصا مجازية وهي جملة الأفعال الظاهرة أو الباطنة، التي تجسد صفة معنوية كالكرة والحب والغيرة، للدلالة على إحالة سيميائية في الرواية.

1- الكراهية:

تظهر من خلال أفعال الدركيين وخاصة أثناء تعذيب قدور "يقوم قدور، يسدد العريف لوجهه لكمة وثانية وثالثة..."[28] وما إحساس الكراهية إلا دلالة على حقد الفرنسيين والموالين لهم للجزائر، هذا الكره والحقد والغل الدفين الذي لا يزال متواصلا حتى اليوم وسيظل قائما لأنهم دائموا الطمع في أرض الجزائريين المعطاءة.

2- الغيرة:

وتظهر في رد فعل قدور على ذلك الرجل في المحطة:"قدور يهجم على الرجل كالوحش.."[29] وما هذا الإحساس إلا دلالة على غيرة الشعب الجزائري على حرماته وأرضه وعرضه وردت فعله المباشرة اتجاه كل ن تسول له نفسه الاعتداء عليه.

3- الحب:

يظهر من خلال عدة شخوص أهمها حب"الحبيب ابن الحاج أحمد" لمسعودة، وما هذا الشعور إلا دلالة على حبه للوطن لان مسعودة ما هي إلا وطنه، وما حبه السابق للفتة التونسية "نجاة" الذي لن ينساه إلا دعوة ضمنية إلى شعوب المغرب العربي الى التوحد والعمل سويا من أجل المصلحة العامة للأمة العربية.

4- الجشع:

ويظهر في تصرفات بعض أهالي الدشرة كالشامبيط والوسطاء بين عامة الناس والإدارة، والحراس والوشاة، وعزوز"زوج أم مسعودة" وتدل هذه الفئة وهذا الإحساس عن فئة من الجزائريين خونة باعوا وطنهم من أجل السلطة وامتلاك الأراضي والأموال" عزوز كلما عدت لاستعراض وقائع حياته التي اعرفها أقول لم يكن سمادا، كان فسادا، هو وأمثال أفسدوا غلال أرضنا الطيبة ..."[30]

6 –سيميائية الحدث:

الحدث هو ذلك الفعل الرئيسي الذي وقع في الرواية، والذي يؤدي إلى التأزم ومنه إلى العقدة ومن ثم إلى الانفراج والحل، ولعل ابرز حدث في رواية "غدا يوم جديد" هو ذلك الذي وقع في محطة القطار التي لا تمثل واقعا حقيقيا متجسدا على الأرض، وإنما وجودها فقط كامن في الرواية، إنها عالم متخيل استخدمها المؤلف للإيحاء بعملية الانتقال من وضع إلى آخر، أما الحدث فهو ذلك الشجار الذي دار بين قدور ورجل المحطة، هذا الصدام الذي أجل سفر "مسعودة" وجعل حلمها بالسفر إلى مدينة الجزائر كابوسا. إن هذا التصادم بين الرجلين يحمل دلالة الواقع الجزائري بعد الاستقلال حيث يظهر قدور حاملا بعض ملامح الرئيس الراحل"هواري بومدين" الذي حاول نقل الريف إلى المدينة من خلال مشاريعه وثورته الزراعية والصناعية ذات المبادئ الاشتراكية، المحاولة القضاء على الطبقية، لكن هذا المشروع كان مجرد أفكار، لأن هناك مانع يحيل دون إقامته على ارض الواقع، وهو النظام السائد آنذاك بقيادة الرئيس الأسبق"بن بلة" الذي عطل مسار التطور والسفر إلى المدينة/ الحضارة.

وما القطار إلا الوسائل والسياسات التي انتهجها في سفره وسفر الجزائر معه إلى التقدم.

إن "مسعودة" هي الجزائر التي انتقلت إلى العصرنة والحداثة عن طريق زواجها من قدور أو هي فترة حكم"هواري بومدين" وكلاهما يمثل المدينة حيث استطاع قدور تحقيق حلم مسعودة، كما استطاع "الهواري" تحقيق حلم الجزائر، وهي في حقيقة الأمر لم تتزوج من قدور وإنما تزوجت المدينة" هي رضيت بالزواج من أجل المدينة، تزوجت المدينة، وأما هذا الزوج فلا تعرفه....[31]"،

لكن بعد أن تنتقل "مسعودة" إلى المدينة تجد أنواع الظلم والقهر والخيانة متعددة فتحن إلى عيشها بالقرية، كذلك الجزائر التي انتقلت إلى المدينة ليدنسها بعض الخونة باسم الديمقراطية وباسم الدين، وغدروا بالثورة ومبادئها، فاحتمت بماضيها المشرق عسى أولادها أن يتراجعوا عن سفك الدماء، وكذلك مسعودة الجزائر رجعت إلى ماضيها لتعيش فيه ولتبحث عن حل لازمتها الخانقة"في 19جوان 1965 كانت شوارعنا هادئة... وأما في 19 جوان من هذه السنة 1991 فشوارعنا كلها سوداء..."[32]

7– سيميائية العلاقة بين الواقع المأساوي والماضي الثوري

إن أحداث أكتوبر 1988 هي التي جعلت "مسعودة" الجزائر تتكلم وتعبر عن آلامها وأوجاعها "أكتوبر انطقي، أقول كل شيء ثم أذهب إلى مكة أغسل عظامي وأيامي ..."[33]، وهو الذي جعلها تقييم مقارنة بين هذه الدماء التي سالت ذات يوم على أرضها التي كانت مستعبدة، فوجدت قوة كبيرة وفرقا شاسعا بين ما هو كائن، وما كان، فبعد أن تحقق الاستقلال ها هي اليوم الدماء تراق مرة أخرى بأيد جزائرية"القصر الذي نحن فيه الآن، لم يبنه عرق أبنائي أو أشقائي، بنته بنادقهم، البنادق هي التي تبني الشعوب الملعونة، أشعر بالهوان، أحتقر نفسي في هذا العصر...[34]." إن "مسعودة" الرمز تنشد الأمن والاستقرار، فرغم أن البنادق هي التي أرجعت حرية القصر/الوطن، هاهي اليوم نفس هذه البنادق تهدم صرح هذه الحرية لا لشيء إلا لأطماع دنيوية زائلة وصراعات من أجل المال و الأملاك "القانون عندهم هو أوراق مالية تبدأ من فئة العشرين فرنكا وتنتهي بالألف..."[35]

إن الجزائر التي كانت مهد الثورات أم الأبطال الذين أخرجوا فرنسا القاهرة من بلادهم بإرادة فولاذية هي اليوم ساحة صراع، يقتل فيها الأخ أخيه من أجل السلطة والحكم، فالعلاقة بين الواقع والماضي هي علاقة انفصام لأن الهوة بين الحاضر والماضي شاسعة والفرق عظيم، فبعد الوحدة ها هي الفرقة، وبعد الانسجام والتآلف، هاهو التنافر الحاد الذي يكاد يقضي على الشعب الواحد، فياله من تناقض "في ملتقى الطرق بساحة إفريقيا كانت هناك مساحة صغيرة جدا على شكل مثلث لا تتجاوز ثلاثين مترا مربعا، بها أزهار رائعة ... كنت ذات يوم مارة من هناك كعادتي، وإذا بي أرى على مثلث الأزهار دبابة! كان ذلك في جوان 1965- وفي 19 جوان من هذه السنة 1988 في المكان نفسه رأيت، وأنا مارة من هناك في سيارة، آيت دبابة !...[36]." فالمؤلف يرفض كل مبدأ يحطم الجزائر، إنه يرفض أن يستغل الإسلام لأغراض سخيفة، ويرفض أن تستغل الديمقراطية للانفراد بالحكم، ويرفض أن تستغل عبارات الهوية من أجل التفرقة، "أتدري فيما أفكر اليوم؟ إن هؤلاء المغول الجدد جاؤونا بإسلام يشبه ديمقراطية فرانكو و بينوشي![37] "إن المؤلف يدعو إلى المحافظة على الهوية والوطن والحرمات والأعراض والأبدان فيعتبر عن حزنه من خلال (حزن مسعودة /الوطن) "حزينة من هذا الإسلام الدموي الذي يريد إزالة الحياة من الوجود ليحيا الناس مباشرة في الآخرة كمجرمين [38] ..."فالرواية في مجملها دعوة إلى إعمال العقل وتحكيم الفكر، بدل العواطف الهدامة، والأحاسيس الدخيلة الخبيثة ، انها دعوة الى الصراحة والتحادث والمصالحة. "نتحدث، نتحدث، حتى نشبع من الحديث ، نجعل من لياليا نهارا متواصلا للحديث، لأن جوعنا للحديث أشد وطأة علينا من جوعنا وحاجتنا الى الخبز!.

منذ ولدنا ونحن محكوم علينا بالصمت فإذا لم نتحدث الآن وحرية التعبير يضمنها لنا الجيش وحالة الحصار، فمتى يمكن أن نتحدث مطمئنين بلا خوف؟!"[39].

الهوامش و الإحالات

[1]– عبد الحميد بن هدوقة–رواية غدا يوم جديد ط1 دار الآداب بيروت لبنان 1993 ص10

[2]_ م.س ص25

[3] _م.ن ص11

[4]_ م.ن ص269

[5]–م.ن ص78

[6]–م.ن ص159

[7]–م.ن ص388

[8]–م ن ص291

[9]–محمد مفتاح –دينامية النص– المركز الثقافي العربي ط1 بيروت 1987 ص72

[10]–بختي بن عودة–المكان في الرواية– مجلة التبيين /العدد الاول/(م.و.ف.م) الجزائر /1990 ص 38

[11]– م.س الرواية ص29

[12]–م.س. الرواية ص 05

[13]–عبد المالك مرتاض –تحليل الخطاب السردي–م.س 288

[14]–م.س. الرواية ص 159

[15]–م.س. الرواية ص239

[16]– م.ن.ص 157

[17]–م.ن.ص 289

[18]– م.ن.ص 24

[19]–.ن.ص54

[20]–م.ن.ص 75

[21]– م ن.ص 88

[22] م.ن.ص. 89

[23]–م.ن ص 05

[24]–م.ن.ص 11

[25]–م.ن.ص 62

[26]–م.ن.ص 149

[27]–م.ن ص61

[28]–م.ن.ص24

[29]–م.ن.ص 99

[30]–م.ن.ص268

[31]–م ن ص11

[32]–م ن ص12

[33]–م ن ص235

[34]–م.ن.ص 268

[35]– م ن ص 269

[36]–م ن ص269

[37]–م ن ص 288

[38]–م ن ص 288

[39]–م ن ص 288

.